



البعد التداولي في خطاب السيدة زينب بنت الإمام علي رضي الله عنه

The pragmatic dimension in the speech of Lady Zaynab bint Imam Ali, may God be pleased with her

نور الدين سيليني *

جامعة محمد بوضياف المسيلة
(الجزائر)

[noureddine.silini@univ-
msila.dz](mailto:noureddine.silini@univ-msila.dz)

ملخص:	معلومات المقال
يكن طموح هذه الورقة البحثية في إعادة النظر في طبيعة التصور الذي تملكه حول خطاب المرأة العربية في الثقافة العربية بشكل عام وفي المشهد السياسي بشكل أدق، انطلاقاً من البحث فيما توفره لنا المنظورات الدينية والانثروبولوجية والفينومولوجية للظاهرة الشخصية والاجتماعية. وفي إطار هذه المنظومة يمكننا اعتبار خطاب زينب بنت الإمام علي في مواجهة يزيد بن معاوية يعد مقتل أخيها الحسين عليه السلام حجر الزاوية التي قام عليها الخطاب المناهض، ومن هنا تأتي فاعلية الدرس التداولي الذي يؤسس بدوره إلى نوع جديد من الكتابة، كتابه الوعي الضدي الذي تطرح السؤال على نفسها في الوقت الذي تطرحه على غيرها، وهذا ما يحدد ملامح الإنسان الجديد القادر على تغيير الواقع وخرق أقنعتة والثورة على آلياته بتفكيك النظام الترمذي التراتبي الذي بني عليه، وإعادة صياغته وفق السنن الجديدة، ليتحرر فيه المرء قولاً وعملاً. وفق إجراء تداولي يقوم على نظرية أوستين الأفعال الكلامية وآلية التأثير في المتلقي.	تاريخ الارسال: 2025/07/19 تاريخ القبول: 2026/06/01 تاريخ النشر: 2026/06/14
	الكلمات المفتاحية: ✓ خطاب ✓ التداولية ✓ زينب بنت علي
Abstract :	Article info
The ambition of this research paper lies in reconsidering our perception of the discourse of Arab women in Arab culture in general, and in the political landscape more specifically, by examining the insights offered by religious, anthropological, and phenomenological perspectives on this personal and social phenomenon. Within this framework, we can consider the discourse of Zaynab bint Ali in her confrontation with Yazid ibn Mu'awiya, where the killing of her	Received 19/07/2025 Accepted 01/06/2026 Published 14/06/2026

brother, al-Husayn (peace be upon him), is the cornerstone upon which her opposing discourse is built. Hence the effectiveness of the pragmatic approach, which in turn establishes a new kind of writing—a writing of counter-consciousness that poses questions to itself while simultaneously posing them to others. This defines the characteristics of the new human being, capable of changing reality, shattering its masks, and rebelling against its mechanisms by dismantling the hierarchical, traditional system upon which it is built, and reformulating it according to new principles, thus liberating the individual in word and deed. This is achieved through a pragmatic process based on Austin's theory of speech acts and the mechanism of influencing the recipient..

Keywords:

- ✓ the speech
- ✓ Keyword:prqmatcs
- ✓ Keywo:zainab bint ali

1. مقدمة

يكن طموح هذه الورقة البحثية في إعادة النظر في طبيعة التصور الذي نملكه حول خطاب المرأة العربية في الثقافة العربية بشكل عام وفي المشهد السياسي بشكل أدق، انطلاقاً من البحث فيما توفره لنا المنظورات الدينية والأنثروبولوجية والفينومولوجية للظاهرة الشخصية والاجتماعية من جهة، ومن وضعها الأنطولوجي باعتبارها رمزاً دينياً موشوماً بوشم المقدس من جهة أخرى.

يشكل حضور السيدة زينب عليها السلام في النضال السياسي والتاريخ الحربي للمرأة حضوراً متميزاً وملهماً ومؤسساً لأصول عقائديه وحياتية جديدة لم يعدها الإنسان العربي المسلم قبل كربلاء" (الحسيني، ال محمد، 2011، ص 83) باعتبار هذه الواقعة علامة فارقة في تاريخ المسلمين بجميع فصائلهم ومللهم، ومن هنا فإن إعادة قراءه مجمل خطاباتها في هذه الفترة هو قراءة للتاريخ المشوش بهذه المعطيات والمنظومات الكلية" هو حفر في الصمت والحواء ومسائلة المتاهات المألوفة وإضاءة للمنسي وتوجه للمختلف".

فوكو، 1994، ص72)، إن التحليل التاريخي هنا هو أرقى أشكال المعرفة التي تؤسس مبدأ الاختلاف ومشروع الطرح المضاد، بعيداً كل البعد عن إعادة صياغة الأفكار والمبادئ ذوات الحمولات الجاهزة التي أرهقت تاريخها الحضاري و أغمته بشتى أشكال القهر والتهميش .

إن مقارنة التاريخ بهذه التساؤلات لا تعكسها قوه الجواب بقدر ما تكمن قوتها في حدود التساؤل ، و ملء فضاء الإشكالية بإثارة الاهتمام . إذ باحتراق الأسئلة يتوهج المسكوت عنه، ومن هنا تأتي هذه المقاربة محركاً أساسياً لأشكال مقاومة لا شعورية تكبح جماح البحث في ثنايا موضوع المرأة والسياسة، فكلما تطرقنا إلى هذا الموضوع" لا نستطيع أن نملك أنفسنا من التخوف من ردود فعل الآخرين" (العشري، 1955، ص81)، فهذا الطرح الافتراضي يعمق صدمه منطق الآخر المختلف من أوهام أيديولوجيه البعد الواحد،

الذي حافظ على تماسكه بالحراسة الأسطورية والدينية لقيمه ومنعه الآخر من الاقتراب من بؤره المعنى، لاقتناص المتعدد والمتشطر الذي يحمل في طياته ديمومة الاختلاف ومشروعية المرأة في الحضور، كذات وكيئونه فاعلة في المنجز الحضاري.

2. الخطاب النسائي وخصوصية الذات المتلفظة:

يأتي الخطاب النسائي هنا إلحاحا نقديا يسعى إلى تشكيل القالب ألدائلي الذي يميز هذه الكتابة عن غيرها، وبالأخص ما كتبه الآخر المختلف الذي استهلك الكثير من الخبر واستقر بشكل نهائي ملمحه الذي لا يخرج عن نسقيه عقديه واضحة المعالم، وبالتالي فك لغز الحيرة الذي وقع فيه الكثير من الكتاب حين اعتقدوا بأن كتابة المرأة بهويتها الخاصة وملاحظاتها المميزة يفضي إلى واحد من حكمن، إما كتابة داخل السرب تعيد استنساخ نفس المقولات التاريخية، وهو ما يرددها بدورها إلى الآخر فلا تعود صالحه لمقياس ومركز، أو كتابه خارج الفتوى تثبت خصوصية تلك المقولات استنادا إلى مكاشفة الواقع وبلورة، " معرفة حقيقية ببنائها وعولمها واستجلاء خلاصات محابثة لثوابتها ومتغيراتها" (العلوي، 2006، ص5).

إن خطابا بهذا الشكل ليس في متناول أي متمرن، كونه يحمل فكرا وإجراء شاقا يهدف أول ما يهدف إلى مواجهة ذاكرة الآخر بالسلح اللغوي، ابتداء بلغة التظلم والصراخ، وانتهاء إلى الانخراط في مشروع معرفي عقدي لم يعهده الآخر قط، ومبارزة لغوية هنا تخترق الكلمات، تملكها الذات المتشظية التي ترفض أن يهزمها الآخر في عقر دارها، وفي كتاب هي صاحبتها. ومن هذا المنطلق يأتي الخطاب الزبني ليؤسس استراتيجية جديدة يكون فيها الآخر متلقيا صامتا عاجزا عن الفعل، بينما تسرد الذات هويتها لتكون الفاعل المهيمن على مقادير الواقع، فتتخذ " هي مواقع الحركة والمبادرة والكلام، بينما يرجع الآخر إلى مواقع السكون والصمت والانتظار" (ناجي، 2004، ص127)، ومع تحرير الفاعل هنا تتحرر المعرفة، وتتعزى العلاقة بين الواقع والذات المتلفظة، لتنفك بالمقابل العلاقة العضوية بين الآخر ولغته وواقعه.

ليس الخطاب إذن وحده لغوية مفارقة، أو كيانا ثابتا من الكلمات والدوال، وإنما هو وحدة من وحدات الفعل الإنساني، والتفاعل والاتصال والمعرفة وحقل " فعال من المشاعر والاهتمامات والتوترات التي تكشف عن تنظيم المجتمع ومؤسساته وأبنيته القوية وأدوارها المنظمة" (عصفور، 1997، ص174) وقد تشكل بلا شك بافتراض خطاب سابق سبقه وحاضر يتخندق معه بعلاماته الرمزية وبنيتة التكوينية، التي لا تخرج عن كونها سمات أيولوجية أو جمالية خاصة، وجميع ذلك مصنوع من نظام دال مركب موروث من السنن الثقافية الاجتماعية.

1.2. وفي إطار هذه المنظومة يمكننا اعتبار خطاب زينب عليها السلام حجر الزاوية التي قام عليها الخطاب المناهض، ومن هنا تأتي فاعلية الدرس التداولي الذي يؤسس بدوره إلى نوع جديد من الكتابة، " كتابه الوعي الضدي الذي تطرح السؤال على نفسها في الوقت الذي تطرحه على غيرها، إنها كتابه ألزامة التي تبدأ بسؤال الوجود، فسؤالها القائل من أكون هو مقدمة لتحديد قدرتها على الإجابة على السؤال القائل ماذا يمكن أن أفعل" (عصفور ، 1997، ص174) وهذا ما يحدد ملامح الإنسان الجديد القادر على تغيير الواقع وخرق أقنعه والثورة على آلياته بتفكيك النظام الترمذي التراتبي الذي بني عليه، وإعادة صيغته وفق السنن الجديدة، ليتحرر فيه المرء قولاً وعملاً.

2.2. سعياً منا لقراءة خطاب السيدة زينب عقيلة بني هاشم وفق ما يقتضيه الموضوع لا نستطيع أن نملك أنفسنا من التخوف وفق ما يقتضيه الإجراء التداولي، واستكمالاً لحلقة الحفر ارتأينا أخذ مسلك يعصمنا من المزالق والزلات ويأخذ بأيدينا نحو ضمان استمرارية منهجية تنظم لنا بحث الموضوع، تنطلق من الحيز الاستثماري الذي سيوكل لنفسه محاولات تأصيل مفاهيم الدرس تداولي، ومن ثم معالجته الخطاب لتحديد الإجراءات والعلاقات الكائنة فيه، لنصل إلى مجموع تصوري يضعنا بدوره أمام عناصر جديدة ذات طبيعة معرفية مباشرة. و لن نبغ شططا إذا اعتبرنا البحث في الحفريات الأولى للتداولية مدين لعديد التيارات الفلسفية التي استحوذت على عقول الفلاسفة والمفكرين،" بدءاً بإسهامات الفلسفة التحليلية بفروعها الثلاث الوضع آنية المنطقية بزعمارة رودولف كارناب إلى الظاهرية اللغوية بزعمارة آدموند هورسل ثم الفلسفة اللغة العادية بزعمارة فنغشنانين" (صحراوي 2005، ص22) هذا الأخير الذي مثل المحضن الفكري لنشوء الفلسفة الاوستينية في اللغة حيث " انبعثت منها ظاهرة الأفعال الكلامية موضوع دراستنا، والتي تعتبر أهم محاور الدرس التداولي المعاصر" (بوجادي، ، 2009، ص) بحكم أن الظاهرة استمرار لجهود الفلاسفة التحليليين الذين ثاروا على الفلسفة المثالية وجهود هيجل.

يقوم المنهج التحليلي الفلسفي على تفتيت المركبات إلى جزئيات بسيطة لتتمكن من الوصول إلى أدقة في تحليل الأجزاء الممكنة والعلاقات الكائنة في هذه الصياغات، فالعالم وفق هذا المنظور ليس وحدة مطلقة، و يمكن تقسيمه إلى أجزاء لإدراك حقيقته . والواقع ليس مطلقاً على الإطلاق، فالتحليل الفلسفي هنا كفيل بإجراء تفاضل مع القضايا والإشكالات في إطار تجريب كل ما هو جزئي مباشر، وقد اعتمد رواد هذا الاتجاه على الكثير من الدعائم والمركيزات يحملها سوليموفيسكي فيما يأتي " الاعتماد على دور اللغة واعتبارها دعامة أساسية في التفكير الفلسفي، تفتيت المشكلات الفلسفية إلى أجزاء صغيرة لمعالجتها جزءاً، خاصيتها المعرفية، اعتمادها

على مبدأ البين ذاتية، **inter subjectivité** أي المعالجة المشتركة بين الذوات في عملية التحليل" (صحراوي ، 2005 ، ص22)، ووفق هذه الدعامات ستشهد الفلسفة التحليلية العديد من الفروع انطلاقاً من التركيز على واحدة دون الأخرى ، لتأتي جهود الفيلسوف فينغشتاين الذي سيحتل موقعا هاما في تطعيم الظاهرة اللغوية ودراستها بالطابع الاستعمالي، لتثبت أن الفرد في استعماله للغة" يتبع في تراكيبه عموم مجتمعه مستلزما على اثر ذلك بضرورة استبدال معنى التواصلية في اللغة التعبيرية على أساس أن الوظيفة الأساسية التي تستند إلى اللغة ليست تمثيلا للعالم و تفسير له بقدر ما هي أليه التأثير في الآخرين في إطار عملية التواصل" (بغورة، 2005، ص103)، وبالتالي قضى فينغشتاين على تلك النزعة المثالية الفلسفية التي كانت ترى أن اللغة تخضع لنظام دقيق مسبق قائم على أن لكل كلمة معنى محدد، فالواقع يثبت أن أية محاولة لفهم دلالات اللفظ معين مرهون بالإدراك الشامل، والإحاطة التامة بالاستعمالات الفعلية على الواقع، وكيفيات صياغاته في سياقات متعددة، فالأفعال التي نتلفظها ترتبط ارتباطا وثيقا بأشكال الحياة والممارسات التي نحيها. وليس ثمة معنا لوضع حدود بين اللغة والمجتمع، وفي هذا المعنى يقول " يمكننا اعتبار اللغة مدينة قديمة، متاهة من الأزقة والساحات والمنازل القديمة والجديدة التي بها إضافات من أحقاب مختلفة، وكل هذا محاط بسلسلة من الضواحي ذوات أزقة مستوية ومنتظمة بها منازل موحده الشكل" (دلاش، د ت، ص20/21). وهذا يقودنا إلى أن وظيفة اللغة في نظر فينغشتاين هي الاستعمال والتفاهم مع الآخرين، ومن ثم التأثير عليهم " فبدون اللغة لا يمكننا الاتصال الواحد منا بالآخر وإنما نقول وبالتأكيد بدون اللغة لا يمكننا التأثير في الآخرين على هذا النحو وذاك" (واضح ، 2011/2012، ص80) وبهذا فتح الباب على مصرعيه أمام جهود شارل موريس في دراسته للعلامات السيميائية لمفسرها بمعنى أن وظيفة اللغة هنا تركز على الاطار التواصلية في محاولتها لتحديد العلاقة القائمة بين الإشارة ومن يستخدمها في الاتصال اليومي العادي التواصلية/ التداولية وكل هذا اهل موريس إلى اعتبار التداولية" نشاط تواصلية أساسا ذا طبيعة اجتماعية" (بوجادي ، 2009 ، ص57) كما تندرج ضمن هذه الجهود نفسها إسهامات تشارل ساندرلي بريس التي ظهرت في أبحاثه في الدرس التداولي في مقالته الأولى كيف نجعل أفكارنا واضحة عام 1978 والذي انطلق فيه من سؤال جوهرى مفاده متى يكون للفكر معنى وعلى اثر هذا ذهب إلى دراسة الدليل واثبت إدراكه بواسطة التفاعل الذي يحدث بين الذوات والنشاط الاجتماعي وهو ذاته ما نقصده بالتداولية فهي " أداة مهمه يمكن من خلالها نقل الواقع كما يمكن اعتبارها وسيلة من وسائل المعرفة والاتصال" (واضح ، 2011_2012_ص85).

-غير بعيد عن إسهامات الفلاسفة في ترسيخ مفهوم الدرس التداولي حاولت النظريات اللسانية الحديثة الإدلاء بدورها في تعميق مفهوم التداول مقرنه إياه بالملفوظ النصي كإجراء تطبيقي أول ما ييحه طبيعة المتلقي ومستويات القراءة، فتعدد القراءة يأتي في الغالب " نتيجة عدم خضوع المعنى لسلطة النظام اللغوي" (بوجادي، 2009، ص 60)، ومع هذا المعطى التنفيذي بدأت فكرة النص/ السلطة المغلق تضعف وترجع القهقرة نتيجة لعقيدة الراي الواحد التي كانت تطبقها، وأمام هذا الإلحاح بدأ التفاعل بين الذات المتلفظة والمتلقي تبلغ أوجها وتصل في الأخير أن اللغة حقيقه واقعيه فعليه ويحكم نمطها عوامل خارجيه غير ثابتة كالوسط الاجتماعي، السياق وطبيعة المتلقي، وعلى اللسان دراستها في ضوء ذلك. وعلى هذا النهج أسس السيميائيون الجدد طروحاتهم أمثال امبيرتو ايكو وجوليا كريستيفا وبالأخص الفيلسوف جاك دريد، ومن هذه الخطابات الفلسفية والبلاغية والمعرفية اللسانية ولد الدرس التداولي المعاصر الذي يعني فيما يعني "دراسة علاقة العلامات اللغوية بمستخدمها من بني الإنسان" (بوجادي، 2009، ص 56) فالتداولية هي إجراء يقضي بدراسة التواصل بكل آلياته بين المتكلم والمتلقي، فاللغة ليس لها معنى في ذاتها، بقدر ما تأخذ أحقيتها من عملية التواصل، ومن ثم التأثير، فالتداولية هنا ظاهره خطاييه تواصلية واجتماعيه معا وهي تفرض على المحلل اللغوي تحديد مقاصد المتكلمين وفهمها وان لا يهمل الربط العلائقي بين الاطار التواصللي والبنية الاجتماعية والتشكيل الخطايي" (واضح ، 2011-2012، ص 95)، فالبنية الاجتماعية تفرض قيودا مستمدة من ارغامات مسبقه سياسيه، دينيه، أدبيه، على تشكيل خطاب وانتقاء كلماته وطبيعته، وآليات الإقناع قصد التأثير في المتلقي و خدمه لأهداف الذات المتلفظة وتطلعاتها، فالإجراء التداولي بلا شكل "آلية مهمه يستعمل منهجها ومبداها كل من يسرد الملفوظ إلى أهداف بعيدة تخدم أفاقه وتطلعاته" (واضح ، 2011-2012، ص 96) وهو ما تقصده الفيلسوف جون أوستن في بحثه بنظرية أفعال الكلام الذي تركز على مقاصد المتكلمين ودرجة اقتناعهم بالمحتويات القضية التي تنتج عن التواصل الديناميكي بين المخاطب والمتلقي والذي يتسم بلا شك بطابع الصيرورة وإثبات.

إلى هذا الحد من البسط النظري نصل إلى اهم نقطة في الدرس التداولي وهو ما اسماه مؤسسه الأول أوستن بنظرية أفعال الكلام والتي لا يمكننا فهمها بمعزل عن النموذج المقدم للدراسة وهو خطاب السيدة زينب عليها السلام في رحلة السي التي اقتادها فيها يزيد بن معاوية من الكوفة إلى الشام لتتضح معالم النظرية أكثر ونذكر مجمل أبعاده التنظيرية والتطبيقية على حد سواء.

3. السياق العام لخطاب السيدة زينب عليها السلام:

في شهر جمادى الأولى سنة 41 هجرية تمت لمعاوية بن أبي سفيان الخلافة ودخلت الأمة نفق الحكم الأموي وانتقل الحكم الإسلامي من خلفه وشورى إلى ملك عضوض، وازدادت الضغوط القمعية على أهل البيت وشيعتهم من قبل الحكم الأموي، ومراجعة بسيطة لكتب التاريخ يدرك القارئ البسيط حجم النظم القمعية البشعة التي سجلها الأمويون في تاريخ حكمهم، سواء مع النخبة المعارضة، أو مع خصومهم من آل بيت النبوة، (مقاتل الطالبين لابي فرج الأصفهاني، مروج الذهب للمسعودي، تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري، الإمامة والسياسة لابن قتيبة... الخ) واستكمالا لمشروع الأمويين بقياده معاوية ختم حياته باستخلاف ولده يزيد على الأمة ليبدأ بذلك عهد الملك العضوض والحكم الوراثي العائلي، خلافا لما أقره الإسلام وتعود عليه المسلمون، ولم تكن ليزيد أدنى مؤهلات الحكم والخلافة يقول العالم الأزهرى الشيخ عبد الله العلايلي في كتابه عن الإمام الحسين "إذا كان يقينا أو شبه اليقين إن تربيته يزيد لم تكن إسلامية خالصة أو بعبارة أخرى كانت مسيحية خالصة فلم يبق ما يستغرب منه أن يكون متجاوزا، أو مستهترا مستخفا بما عليه الجماعة الإسلامية لا يحسب لتقاليدها أو اعتقاداتها أي حساب ولا يقيم لها وزنا" (العلالي، د، ص59)، كما يروي المسعودي في مروج الذهب "وكان يزيد صاحب طرب وجوارح وكلاب، وقرود، وفهود، ومنادمة على الشراب وجلس ذات يوم على شرابه ويمينه ابن زياد وذلك بعد مقتل الحسين فاقبل على ساقيه وقال:

اسقني شربه تروي مشاشي ثم مل فاسق مثلها ابن زيادي

صاحب السر والأمانة عندي ولتجديد مغنمي وجهادي

وكتب يزيد إلى والي الأموي في المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان فطلب إليه اخذ البيعة قصرا من كبار الصحابة وفي مقدمتهم الحسين عليه السلام، وردا على هذا الطلب أعلن الإمام الحسين موقفه الراض لبيعته قائلا "أيها الأمير إن أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ومحل الرحمة، بنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق شارب خمر قاتل النفس المحرمة معلن بالفسق ومثلي لا يبايع ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أينما أحق بالخلافة والبيعة" (القرشي، 1994، ص203/207) وعلى اثر هذا الرفض يقرر الإمام الحسين الذهاب إلى العراق لنجدة من طلبه البيعة، وإلى أرض كربلاء ذهبت القوات العسكرية لتحاصر الحسين وأصحابه، وفرضت حالة حصار على الكوفة وحاله طوارئ في داخلها حتى لا يتسلل إليها أحد للالتحاق بالإمام، وشدد الحصار على الإمام الحسين وأصحابه فقد احتل الجيش الأموي شاطئ الفرات ومنعوا الحسين وأصحابه وعياله من الوصول إلى المال منذ اليوم السابع من محرم ليبدأ الهجوم الأموي على المعسكر الحسيني ويشهد التاريخ "ملحمة خالده من البطولة والفداء لم يعرف التاريخ لها نظيرا، وبعد العاشر من محرم كان

جميع الأصحاب والأنصار قد عانقوا الشهادة وصدقوا ما عاهدوا الله عليه بين الإمام وبينما الإمام الحسين يواجه القوم بمفرده وخلفه نساءه وعياله قد أقضهم والعطش والظماء وتصدى الإمام لمواجهه القوم حتى وقع صريعا شهيدا بارض كربلاء مضخما بدمائه الشريفة شاهدا على انحراف امته عن رسالة جده " (القرشي، 1994، ص163)، وفي اليوم الحادي عشر من محرم قام الجيش بموارة جثث قتلاهم بينما تركوا الأجساد الطاهرة على صعيد كربلاء تسفى عليهم الرياح وساروا بنساء الحسين وأطفاله سبايا إلى الكوفة يتقدمهم راس الحسين على رماحي احدثهم،

هنا يظهر حضور السيدة زينب بوحي سابق وادراك عميق فهي من قررت وأرادت الخروج مع أخيها الحسين في ثورته مع أنها من الناحية الدينية والاجتماعية في عهدة زوجها عبد الله بن جعفر" والذي كان مكفوف البصر، كما أنها كانت ربه منزلها واستأذنت زوجها في الخروج مع أخيها فأذن لها بذلك وامر ولديه عوناً ومحمداً الالتحاق بقافلة الثورة" (مغنية، 2005، ص161)، ولأنها كانت مختارة ومبادرة عن سابق وعي وتصميم فإنها كانت تنظر إلى ما واجهته من آلام ومآس قاسية تتصدع لهولها الجبال تنظر إليها بإيجابية واطمئنان وتعتبرها ابتلاء وامتحاناً الهيا لا بد من النجاح فيه "فبعد مقتل أخيها الحسين خرجت تعدو نحو ساحه المعركة تبحث عن جسد أخيها الحسين غير عابئة بصفوف الجيش الأموي فلما وقفت على جثمان أخيها العزيز الذي مزقته السيوف جعلت تطيل النظر إليه ثم رفعت بصرها نحو السماء وهي تدعو بحارره ولها اللهم تقبل منا هذا القربان" (القرشي، 1994، ص304) ثم انبرت تشهر سلاح المظلومية في وجه بني أميه عساها تحيي ذكر أخيها وتحمل المبادئ التي استشهد لأجلها، فراحت "تسلط الأضواء وتلفت الأنظار إلى مواقع الظلامه وقامت بتأجيح العواطف والهاب المشاعر أثناء الواقعة وبعد الواقعة في الكوفة والشام وحينما عادت إلى المدينة كرست باقي أيام حياتها للقيام بهذا الدور العظيم" (مغنية، 2005، ص177)، ولم تكن تلك الأدوار من بكاء واستغاثه وندب وصراخ مجرد ردود فعل عاطفيه مؤقتة بل كانت سلاحا تصوبه نحو الظلم والعدوان وتدفع به عن معسكر الحق والرسالة، وقد اختلف الرواة في نقل مجمل خطبها وهي تلهب ظهر الجسد الأموي من راوية إلى أخرى بالعبارات الفظيعة والمؤلمة توجهها للسلطة والحكام، ولكن اتفقت جميعها في أنها خطابات ثائرة أحييت بها مجد أخيها وحقه المسلوب وقد أورد خطب زينب وتأليبيها الرأي العام والإعلام المناهض مصادر عديده من أمهات المراجع ومن ابرزها أبو الفضل احمد بن أبي طاهر الطيفور في كتابه بلاغات النساء أبو عثمان الجاحظ في البيان والتبيين أبي الفرج الأصفهاني مقاتل الطالبين عائشة عبد الرحمن في تراجم سيدات بيت النبوة، كما تواترت الخطب على السنه كثير من الرواة من أرباب

الحديث كهذلم ابن كثير وخزيمة الأسدي، وغيرهم وسنركز على خطبها في الكوفة بما يناسب موضوع دراستنا فيما خص البعد التداولي في خطبه زينب عليها السلام .

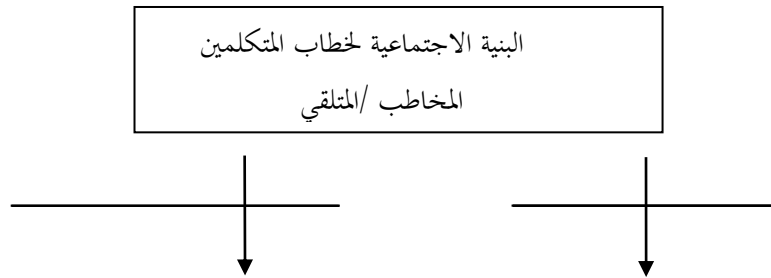
1.3. سياق الخطبة ونظريه الفعل الكلامي لجون أوستين:

مثلما سبق واشرنا أن نظرية الفعل الكلامي انطلقت من أن وظيفه اللغة لا تنحصر في رسم وقائع العالم وصفا صادقا أو كاذبا كما اصطلح على تسميته أوستين بالمغالطة الوضعية **descriptive falbacy** والتي تنحصر في نقل الأخبار وتوصيل المعلومات إلى المتلقي عن طريق علامات صوتيه فقط ، بل هناك أفعال تنجز في الواقع وتبدل قناعات الأفراد واعتقاداتهم بمجرد التلفظ بها ، فإحداث " التلفظ هو إنجاز لفعل وإنشاء لحدث" (أوستين، 1991، ص17) وهو ما نلمسه في عديد المواقف من الخطاب ذاته ففور دخول السيدة زينب مجلس زياد هي ومن معها من نساء ال البيت مكبلين بالسلاسل يجرونهم حاسري الرؤوس راح الكوفيون يرقبونهم في صمت بما فعلوا بهم من الغدر والختل والخداع ،فصوبت نحوهم نظراتها قائلة يا "اهل الكوفة يا اهل الختل والغدر أتبكون، فلا رقه الدمعة ولا هدأت الرنة إنما مثلكم كمثلي التي نقضت غزلها من بعد قوه أنكاثا..... أتبكون وتنتحبون إي والله فبكوا كثيرا واضحكوا قليلا فلقد ذهبتم بعارها وشنارها ولن ترخصوها بغسل ابدأ" (الرحمن، دط، ص765) فالسيدة هنا تنعتهم بنقد العهد فأهل الكوفة بدعوتهم الإمام لنصرته ثم التخلي عنه هو أسوء أنواع الغدر واعتبرتهم السيدة زينب نموذجا تطبقيا للمرآة الحمقاء التي تنقض غسلها مع جواربها بعد منتصف النهار، وهم بذلك هدموا صرح الشرعية والقيادة التي بنوها ببيعتهم الإمام الحسين، وتوجه زينب لهم التهمة بصراحه ووضوح في قولها ذهبتم بعارها وشنارها ثم نراها تركز على نقاط المجتمع الكوفي وما فيه من الأخلاقيات المنحرفة وتنبههم إليها في قولها " وهل فيكم إلا الصلف النطف والكذب والشنف" كما تشير السيدة إلى ابتلائهم بمرض التملق المفرط " ملق الإمام، غمز الأعداء" (مغنية، 2005، ص209) فالأمة التي لا حول لها ولا قوه تجدها مضطرة إلى إبداء اعلى درجات الخضوع والطاعة والانقياد لسيدتها كما تشير السيدة إلى أبعاد الفاجعة فما حدث في كربلاء لم يكن بالأمر السهل انه كارثة مروعة وفجيعة عظمت وحريمة نكراء على حد قولها «والله لا يرحض عنك عار ما أتيت إلينا ابدأ" (أبي طاهر طيفور، 2000، ص40)،وقد أبلغت السيدة زينب حاجتها وأوفت كما عبر على ذلك المبرد بن يزيد في كتابه الكامل "وقد كلمت يزيد ،فأفصحت ،وأبلغت ،وأخذت من الحجة حاجتها" (المبرد، 1997، ص1185) .

نميز في الدرس التداولي إن مجمل الأقوال هنا جاءت بالصنفين الأقوال الانجازية **performative location** وهو الملفوظ المرهون ببعض شروط النجاح التي تحقق الفعل الذي تسميه ،فاللغة هنا تشتمل على أسئلة وعبارات وتعجب وأوامر وتعايير خاصة

بالوعود والأمنيات والترغيب والتسجيل والترهيب وقد شمل الخطاب الزيني هنا كل هذه الشروط في خطاب اهل الكوفة "ذهبتم، رقت، هذأت... بينما مصطلح الأقوال الاخباريه فهو من ينقل الجملة من الإخبار إلى الإنجاز، وبالتالي فكل ملفوظ خبري يتضمن فعلا إنجازيا وهو لما نلمسه في متلقي خطاب السيدة زينب عليها السلام، يقول راوي الخطبة" فوالله لقد رأيت الناس حيارى سيكون قد ردوا أيديهم في أفواههم ورأيت شيخا واقفا إلى جنبي يبكي حتى اخضلت لحيته بالدموع يده مرفوعة إلى السماء وهو يقول كهولكم خير الكهول وشبابكم خير الشباب ونساؤكم خير النساء ونسلكم خير النسل لا يبور ولا يخزى ابداً" (مغنية ، 2005، ص210) فنوع الملفوظ هنا هو استجابة لتأثير لغة الذات المتلفظة التي غيرت "قناعات الأفراد بمجرد التلفظ بها" (اوستين، 1991، ص17) فلغة زينب عليها السلام تستجيب لطروحات درس التداولي بحذافيره ، وتجيب على مجمل إشكالاتها القائمة على سؤال "ماذا نصنع حين نتكلم ؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلم ؟ ماذا علينا أن نعمل حين نرفع ويرتفع الإبهام عن الجملة ؟ ماذا يعني الوعد والوعيد و ما هي استعمالات اللغة واي مقاييس يحد قدره الواقع الإنساني اللغوي(أمينيكو ، 1986، ص7) وهنا تقول السيدة زينب "الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله واله أجمعين صدق الله سبحانه حيث يقول ثم عاقبه الذين أساءوا السوء أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون أظننت يا يزيد أنه حين أخذ علينا بأطراف الأرض وأكناف السماء فاصبحنا نساق كما تساق الأسارى أن بنا هوانا على الله وبك عليه كرامه..... امن العدل يا ابن الطلقاء تحذيرك نساءك وإماءك وسوقك بنات رسول الله صلى الله عليه واله قد هتكت ستورهم وأصلحت صولتهن مكتنبات تحذى بمن الأباغر ويحدوا بمن الأعادي من بلد إلى بلد.... يتشوفهن القريب والبعيد ليس معهن ولي من رجالهن وكيف يستبطأ في بغضنا من نظر إلينا بالشنق والشنآن ؟ أقول ليت أشياخي بيدر شهدوا غير متأثم ولا مستعظم وأنت تنكث ثنايا أبي عبد الله بمخضرتك ولم لا تكون كذلك وقد نكات القرحة واستأصلت الشأفة بإهراقك دماء ذرية رسول الله صلى الله عليه واله ونجوم الأرض من ال عبد المطلب ولتردن على الله وشيكا موردكم ولتودن انك عميت وبكمت وانك لم تقل فاستهلوا وأهلوا فرحا اللهم خذ بحقنا وانتقم لنا ممن ظلمنا.... وسيعلم ما بؤأك ومكنك من رقاب المؤمنين اذا كان الحكم لله والخصم محمد صلى الله عليه وسلم و جوارحك شاهده عليك فبئس للظالمين بدلا مع إني والله يا عدو الله وابن عدوه استصغر قدرك واستعظم تقريعك... ولئن اتخذتنا مغنما لنتخذن مغرما حين لا تجد إلا ما قدمت يداك.... فكذ كيدك واسع سعيك وناصب جهدك فوالله لا يرحض عنك عار ما أتيت إلينا ابداً والحمد لله الذي ختم بالسعادة والمغفرة لسادات شبان الجنان"(أبي طاهر طيفور، 2000، ص40/41) ،إن ملفوظ الذات المتلفظة هنا وثيقه فكريه سياسيه تسلط الضوء في مجملها على خلفيات المعركة بين اهل البيت والأمويين، فقد كان للخطبة في تلك

الحفلة الرهيبة التي كانت تضم إلى جنبها عددا كبيرا من مختلف الناس صدا عظيم بحيث نهت الناس وأيقظتهم من نومتهم كما لو أنهم كانوا في سبات عميق، ولو حاولنا تحديد بعض ملامح البنية الاجتماعية لهذا الخطاب والتي فرضت قيودا وإملاءات عرفية لا أدركنا دوغما عناء، إن سياقها كهذا كفيل بإنتاج مجموعه من الكلمات ومعان محدده ستمليها الذات المتلفظة على هذا الاطار التواصلية بين المتخاطبين والتي لا يمثلها الوضع اللغوي المجرد فقط، وإنما من خلال حركة السياقات المختلفة تبعا لاختلاف مقاصد المتكلمين والتي يمكن أن نحدد بعض أجزائها في الترسمة التالية:



إن الحقل الدلالي للمستعمل في خطاب السيدة زينب عليها السلام مستمد من أصوله من عديد المصادر لعل أهمها القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وعلم والديها عليهما السلام، مضافه له كلام العرب، كما أن ألفاظ الخطبة في جملة في حقل دلالي موسوم بالأسر والظلم والقهر والسلطان والكيد والظلم والنكت والعدو والقتل.... في مقابل ألفاظ يزيد في معرض الرد تحمل في حقل الزهو بالنصر الكاذب كما يروى ذلك في أبيات لابن الزبيري في قوله (ابن الأثير ، ص85)

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزى الخزرج من وقع الأسل

لأهلوا واستهلوا فرحا ثم قالوا يا يزيد لا تشل

قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدناه ببدر فاعتدل

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

وهي نفسها ألفاظ تظهر شماته وفرحه يزيد وتصريح لما في مكنون نفسه، و تسمع العقيلة هذه الأبيات فتستشيط غضبا وترد عليه بالخطبة نفسها التي أوردناها سابقا، كما نلمس الأمر نفسه حين دخولها على يزيد بن معاوية ورأس الحسين عليه السلام أمامه فيما كان ينكته بمخصرته فيدور الحوار بينهما ينقله غير راو واحد من ملل شتى سني منها وشيعي والواقع أننا لن نهم كثيرا بوثوقه المصدر بقدر ما تشيئ به اللغة ذاتها وكيف غيرت قناعات الآخر في عمل تواصلتي جاد تقصده الذات المتلفظة إيماننا منها بقوه سحر اللغة ورغبتها في تعديل موازين المعركة و النصر، مع أنها كانت في ظروف بالغه القسوة والشدة جسديا ونفسيا، فهي لا تزال تعيش تحت وطأة الفاجعة، وتأثيرها البالغ على أحاسيسها ومشاعرها، ولأجواء الشماتة والإذلال التي استقبلتها في الشام، فقبل إدخالهم على يزيد" أوقفوهم فترة على درج الباب المسجد حيث كان مكان سبي الكفار، ثم أتوا إليهم بحبل ووثقوهم به كئفا.... وساقوهم بإذلال، وكلما قصروا في المشي ضربوهم بالسياط حتى أوقفوهم بين يدي يزيد في مجلسه" (مغنية، 2005، ص227)، وراح يزيد بن معاوية ينكت رأس الحسين بخاصرته، ورات السيدة زينب ذاك المشهد فقررت أن تمارس دورها الرسالي وتحرق بركان إرادتها الإيمانية في خطاب يفرض على أي ناقد أن لا يهمل الربط العلائقي بين الإطار التواصلتي والبنية الاجتماعية والتشكيل الخطابي، فكل هذه "العوامل الثلاث بمثابة عناصر فعالة تؤدي عملها وهي منصهرة و متلاحمة فيما بينها، إذ أن البنية الاجتماعية تلقي بظلالها وتأثيراتها على الأطر التواصلية المنتمية لها وكل اطار تواصلتي معين يلعب دورا فعالا في فرض املاءات على المعنى بتشكيل الخطاب، إذ تدفعه إلى اختيار كلمات وانتقاء سياق معينه واستراتيجيات تخدم قناعاته وأهدافه المتوخاة في العملية الإنتاجية بالكلام" (واضح احمد، إشراف، لزعر مختار، 2011، ص95) وهو ما سنحدده في بنية الخطاب الزينبي في مواجهه يزيد بن معاوية في الشام، وفق الترسيم التالية :



فالبنية الاجتماعية لسياق الخطبة اتكئ على موروث المتخاطبين المتلفظ والمخاطب مع تباين مشاربهم ومصادرهم، وهي نفسها التي حددت سلفا حقولهم الدلالية التي شكلت الاطار التواصلتي بينهما، وحددت معالم الخطاب في الأخير، وهذا يعني أن الخطاب كبنية جاء كتشكيل مسبق حدده السياق ذاته، ولم يكن لزيب ولا ليزيد الحق في تغييره فكلاهما انطلق مما اعتقده، على أن خطاب زينب تشكل من رد فعل لخطاب مسبق مستفز، وهنا نصل بالدرس التداولي إلى ما اسماه بألعاب اللغة كما أوردتها فينغستين في كتابه بحث في الفلسفة والمنطق 1921 إذ يرى أن الأفعال التي تلتفظها" ترتبط ارتباطا وثيقا بأشكال والممارسات التي نحيها إذ لا مجال من وضع الحدود والخوافز بين النشاط اللغوي والحياة اليومية الاجتماعية، فالكلمة آلة إنتاجية، تأتي هذه الإنتاجية غير السكونية ترتبط ارتباطا وثيقا

بوضعنا أثناء عملية التلفظ" (واضح إشراف، لزعر مختار، 2011، ص79)، وفق لاستخدامنا المتغير لها في الحياة اليومية، فخطاب زينب بمفرداته وحقوقه الدلالية هنا اظهر عديده من القضايا أمام هذا المتلقي لعل أهمها :

- الأمويين وان كانوا يتظاهرون بالإسلام إلا أنهم يتعاملون مع الحياة حسب المعادلات المادية

- إن انتصارات الأمويين في نظرهم دليلا على شرعيتهم كواقع يفرض نفسه .

- تأكيد السيدة زينب إنما حدث يجب تفسيره على ضوء الكتاب والسنة لا الواقع الذي يفرضه الأمويون .

- الحسين واهل بيته ليسوا مهزومين، بل هم وفق المقاييس الإلهية شهداء خالدون .

- إن الصراع بين اهل البيت والأمويين في نظر السيدة زينب ليس صراعا قبليا على الزعامة، بل هو امتدادا للصراع الأبدي بين الخير والشر

- إدانة السيدة زينب واستنكار جرائم يزيد أوضحت مظلومية اهل البيت وعمقت مأساتهم .

- إن سياسات يزيد المنحرفة لم تنطلق من فراغ وإنما امتداد واستمرار لسلوكيات أسلافه المشركين والمنافقين، بتذكره زينب، يزيد بجذته أكله الأكباد أم معاويه زوج أبي سفيان.

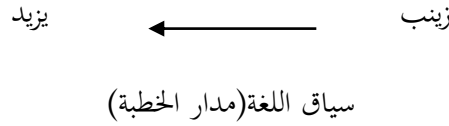
- الإشادة بتراث اهل البيت وأن كل ما يتمتع به الأمويون إنما شادته سيوف بن هاشم وتضحيات ال الرسول بالدرجة الأولى، ولذا نراها تبدي احتقارا له، وانها أكبر من أن تكلمه أو تخاطبه لولا ما فرضته ظروف فتقول " ولئن جرت علي الدواهي مخاطبتك اني لاستصغر قدرك واستعظم تقريعيك واستكثر توبيخك" (أبي طاهر طيفور، 2000، ص40). كما يلحظ إن الدلالات هذا الخطاب انطلقت من البنية الاجتماعية التي عاشتها الذات المتلفظة زينب، ليأتي الاطار التواصلية مشحونا بالانفعالات الحادة والعنيفة المثخنة بالوعود والتهديدات والترذيل والتوبيخ الذي ظهر في ملفوظ الخطاب في النهاية.

إن مباشرة عملية تشكيل الخطاب يقتضي منا التحليل والتأويل الصحيح للعبارات والنصوص والخطابات كذا الوقوف على الجو الذي يحيط بعملية صنع الكلام وإنتاجه، للوصول إلى الفهم والتفسير لما قيل أو كتب، ونعتقد أن جزءا من خطاب السيدة زينب انفجرت دلالاته وتأويلاته في فترة المواجهة التي دارت مع يزيد على اعتبار إنما انتج في هذه المواجهة اهم مما سبق، فيزيد اعتقد بظنه انه كسب المعركة لكن العقيلة زينب دحضت أوهامه وسقط في حضيض الأوهام، وان تظاهر بالنصر وتراءى له الظفر، فعندما نظر رجل من أهل الشام ومن مقربين من يزيد إلى السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين قال مخاطبا يزيد يا أمير المؤمنين هب لي هذه الجارية لتكون خادمة عندي، فانفلت اللفظ من ذات المتلفظة زينب يفور حقدا وقلقا وقد راتها تلوذ بعمتها فاستشاطت غضبا وقالت " كذبت ولؤمت ما ذلك لك ولا لأميرك فرد عليها يزيد بانفعال كذبت والله إن ذلك لي ولو شئت أن أفعله لفعلت" (مغنية، 2005، ص227)،

فعالجته السيدة برد مفحم أسكت موقع المخاطب وأخرست لغته حين قالت " كلا والله ما جعل الله لك ذلك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا فرد عليها قائلاً إنما خرج من الدين أخوك وأبوك" (مغنية، 2005، ص227) وهنا وبكل هدوء وجهت إليه سهماً قائله " بدين أبي وجدي اهتديت أنت وأبوك وجدك إن كنت مسلم" (مغنية، 2005، ص227) وهنا نجد انفسنا مضطرين إلى نوع آخر من المعالجة النوعية للحوار تعميقاً لايجاد البعد التداولي في ثنايا حوار المتخاطبين .

البعد التداولي الذي ينبثق من صميم السياقات التفاعلية لا يتجلى بصورة واضحة إلا بعد عقد الصلة بين المعنى المتحصل عليه وموقف الكلام الذي لا يخرج عن محطات الساسة. نذكر منها

أ- المخاطبين : بفتح الطاء وكسرهما وينبغي التمييز بين المتكلم والمتلقي، ففيما يصنع "الأول الخطاب ويرسله يهتم الثاني بتلقي الرسالة وتأويلها" (عادل السامري، التداولية ظهورها، وتطورها، موقع الكتروني)



ب- سياق التفوه: ويتطلب هذا الأخير معرفه هويه المتكلم والمتلقي والاطار الزماني والمكاني للحدث اللغوي" (الثامري، موقع الكتروني) بمعنى الإلمام بتلك الظروف والملابسات التي تصاحب وتؤطر الحدث الكلامي، بالإضافة إلى الاهتمامات التي تساور المتلقي، فزينب هنا تشكل راس الأعلام المناهض، وهي وليده الناشئة وفتاة يافعة وزوجة ناضجة وأم مربية " رأيناها تقف إلى جانب أمها في آلامها وأحزانها، وتواكب مسيره أبيها في منعطفات الزمن وأحداثه، وتواسي أخاها الحسن في محنته وابتلائه، ثم تشارك أخاها في ثورته العظيمة الخالدة تقود بعده ركب النهضة المقدسة" (جواد مغنية، 2005، ص) ومن خلال هذا الوضع الزماني والمكاني تتجلى كفاءه زينب اللغوية وعظمه شخصيتها التي ستعطي للخطاب وثوقه لا نظير لها، في حين نلمس يزيد هنا ليس له ادنى مؤهلات الحكم والخلافة، فقد كان كلفاً بالصيد لاهيا به وكان يلبس كلاب الصيد الأساور من الذهب والجلال المنسوجة ويهب لكل كلب عبد يخدمه كما كان ولي عنا بالقرود ومدمناً على شرب الخمر" (العالمي، ص403) فالاطار الزماني والمكاني يلم بظروف وملابسات مميزه تسم ردود فعل يزيد اتجاه حقائق وتوبيخيات زينب وتقريعها له، وهنا نسجل أن سياق التفوه جاء حافزاً هاماً على استدرار كم هائل من الدلالات تفرض قوتها على نوعيه الخطاب، واليه تشكله، فشتان بين خطاب الواثق وخطاب المتشكك، وان كان يقتسمان نفس المفردات اللغوية، كما حدث غير مره عندما وجه يزيد القول لها بان الله قتلهم وفرهم فترد و بنفس المستوى اللغوي وبالمفردات نفسها "والله ما فريت إلا جلدك ولا حززت إلا لحمك ولا تردن على رسول الله وما تحملت من سفك دماء ذريته وانتهكت من حرمة في ذريته" (أبي طاهر

طيفور، ص 2000، ص40) ليغدو حينها للرد قوه دلاليه عظيمه تضخ إنتاجا لغويا ضخما يظهر في مفردات الخطبة المتنوعة . يظهر بشكل جلي في بعد إنجازي آخر وهو هدف التفوه .

-هدف التفوه: وهنا يقوم المنهج التداولي على البحث عن الهدف أو الوظيفة بدلا من المعنى المقصود، وكلمه الهدف اكثر حياديه من كلمه قصد" (نخلة، 2002، ص45)، والمتتبع لخطبه السيدة زينب عليها السلام يدرك بان الهدف لم يكن يزيد فقط ،بل كانت الدولة الأموية برمتها ،بل ابعد من ذلك بكثير فهو إحياء لنهضة أخيها الحسين التي أشعلت أوارها وانتشر اللهب في ربوع الأمه، فقبل أن تختم خطبتها وجهت نظراتها إلى يزيد بحق وقالت " فكذ كيدك وسع سعيك، وناصب جهدك ،فوالله لا تمحوا ذكرنا ولا تميت وحيانا ولا يرحض عنك عارها، وهل رأيت إلا فند وأيامك إلا عددا وجمعك إلا بددا، يوم ينادي المنادي إلا لعنه الله على الظالمين والحمد لله رب العالمين ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسال الله أن يكمل لهم الثواب ويوجب لهم المزيد ويحسن علينا الخلافة، انه رحيم ودود وحسبنا الله ونعم الوكيل" (أبي طاهر طيفور، 2000، ص40) ، فالصراع الذي حسمته السيدة زينب عليها السلام في آخر الخطبة على مسامع الناس حسم المستقبل لمن ،فرهان السيدة على النصر، وثقتها بالظفر ليس محجما بحدود الدنيا الفانية، بل تتطلع إلى الآخرة هناك حيث عدالة الله، وهنا ولا شك نصل إلى لب نظريه الفعل الكلامي عندما ندرك أن المعنى الإضافي الكامل خلف الأصل هو أس نظرية ،فنحن نتحدث لنؤثر في الآخر ومن حوله، لنغير الكثير من قناعاته، وهو ما حدث أثناء اللقاء الخطبة أمام الملا ،وقد نصطنع على " تسميته الفعل الانجازي بوصفه إنتاجا" ففي تاريخ الملوك يروي لنا الطبري أن ممثل الروم كان هناك أثناء هذه الظاهرة وتساءل في المجلس يزيد عن راس الإمام بين يدي يزيد، فرد يزيد قائلا راس الحسين، فسأل من الحسين ،قال يزيد ابن فاطمه وسأله من فاطمه قال يزيد ابنه رسول الله، فاندهل وقال نبيكم ،أجابه يزيد نعم، ففرع ممثل ملك الروم، وابدأ انزعاجه قائلا تبا لكم ولدينكم وحق المسيح إنكم على باطل، إن عندنا في بعض الجزر دبرا في حافر فرس ركه المسيح، فنحن نحج إليه في كل عام من مسيره شهور وسنين ونحمل إليه النذور والأموال ،ونعظمه اكثر مما تعظمون كعبتكم ،أف لكم ثم قاموا وخرج غاضبا من مجلس يزيد" (بن جرير، د ت، ص256)، والأمر نفسه لحبر يهودي حضر دخول السبايا وانداهش، واعلن استنكاره أمام يزيد" قائلا يا سبحان الله ابن بنت نبيكم قتلتموه بئسما خلفتموه في ذريته، فوالله لو ترك نبينا موسى ابن عمران لدينا سبطا لظنت أنا كنا نعبده من دون ربنا وانتم فارقكم نبيكم بالأمس ،ووثبتم على ابنه وقتلتموه سوءة لكم من امه" (ابن الاثير ، ص86)، وقد كثرت ردود الأفعال ومجمل التعازي من كثير الشخصيات والهيئات، وهو ما تقصده في ذاتها زينب عليها السلام في تدويل قضيتها ،والنهضة بقضيه أخيها في باقي أمصار

الأمة، داعيه لهم الثورة على نظام بني أمية، وقد استجاب لندائها العديد من الثوار كالمختار الثقفي، وزعماء التوابين العراقيين طالبيين بثار الحسين فقتلوا ابن زياد، و بن سعد وأشياعهما شر قتله، واهلكوا شمر قاتل الحسين "واحرقوا حرمله حيا وتبعوا قتله الحسين ومحاربيه في كل دير ودار، وقتلوه تحت كل حجر ومدر" (الشهرستاني، د ت، ص 141)، واستطاع ملفوظ الخطبة أن يفشل سياسة يزيد، وتخطيطه وجعله، يتمنى لو لم يقدم على قتل الحسين، أو على الأقل ستر على جريمته ولم ينشرها على رؤوس الملء عبر قافله السي، والرؤوس، فقد قال حينها "لعن الله ابن مرجانا وما علي لو احتملت أذى وأنزلت الحسين في داره وحكمته فيما يريد" (ابن الأثير، ص) وهو تمام الوصول بالدرس التداولي إلى ما أسمىه بالفعل الانجازي، يورد جون أوستين إلى إمكانية فشل الأقوال الانجازية وعدم تحققها مستخدما حياها معيارا مختلفا من معيار الصدق والكذب، فهي إما أن تكون موفقة **happy** أو غير موفقة **enhappy**، وقد وضع شروطا لتحقيق الأقوال الانجازية وقسم هذه الشروط إلى تكوينية، وقياسية وسنبحثها داخل الخطاب ذاته .

فالشروط التكوينية:

1- هي وجود إجراء عربي **conventionnel procedure** مقبول، وله اثر عرفي معين وهو سوق السبايا والأسرى للحاكم فور انتهاء المعركة للنظر في أمرهم، وفي اقتسام الغنائم التي كانت وإياهم.

2- أن يكون الناس مؤهلين لتنفيذ هذا الإجراء.

3- أن يكون التنفيذ صحيحا.

4- أن يكون التنفيذ كاملا.

ونخال الشروط المتقدمة مستوفية هذا المقام التلفظي، بما يسمح ونجاح مجمل الأفعال الانجازية، سواء صدرت من السيدة زينب عليها السلام أم من ردود فعل يزيد بن معاوية .

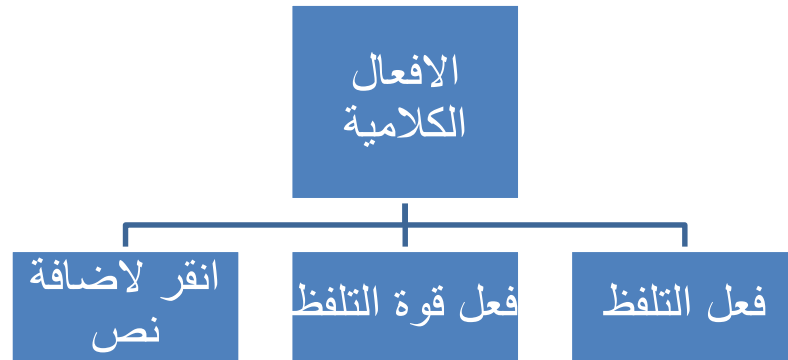
أما الشروط القياسية **relative**

1- أن يكون المشارك في الإجراء صادقا

2- ان يكون المشارك صادقا في مشاعره .

3- ان يكون المشارك صادقا في نواياه

وهي شروط في مجملها تخص المتلقي ذاته، وهو الذي يسمح لمجمل الأفعال الانجازية بالتنفيذ، وبالتالي فيزيد في رده أنجح فضيه زينب من حيث أراد أن يفشلها، ودول ثورتها من حيث أراد إسكاتها، وهذا بموجب الشروط القياسية التي يعقدها المتلفظ في مقامه التلفظي، وينفذها المتلقي في مقامه الاستيعابي، بالإضافة إلى هذا الجهد قسم جون أوستين " الأفعال الكلامية إلى أفعال نطقية وأفعال تأثيرية وأفعال انجازية، فالأولى أصوات ينطقها المتكلم بصورتها الفعلية التركيبية معانها المعجمي، أما الثانية التأثيرية فهي ما يخلفه القومون تأثير، والثالثة الانجازية فيقصد بها الوصول إلى أهدافه وغاياته" (واضح ، 2011-2012، ص111) ويمكننا إجمال هذا التصنيف إلى



وسنحاول تتبع أعقاب هذه الصناعات في محطه زينب الثالثة في عاصمه جدها النبي صلى الله عليه وسلم بعد عودتها إلى المدينة، وكما سبق واشرنا إن العقيلة زينب عليها السلام اندفعت تشهر سلاح مظلومية، تصوبه اتجاه المتعطرسين المغرورين، لتثبت لهم ضعفهم، ولم تمض إلى عاصمه جدها المدينة" إلا بعد أن أفسدت على ابن زياد و يزيد وبني أميه لذه النصر وسكبت قطرات من السم الزعاف في كؤوس الظافرين فكانت فرحه لم تطل وكان نصرا مؤقتا لم يلبث أن افضى إلى هزيمه قضت آخر الأمر على دوله بني أميه، فلم تكذ تخرج من عند يزيد حتى احس أن سروره بمقتل الحسين قد شابه كدر ظل يزداد إلى ندم كدر صفو الأعوام الثلاثة الأخيرة من حياته" (عبد الرحمن، د ت، ص158)، وانتهت برحلة الألم والعناء إلى مدينه جدها ومسقط راسها، عادت هي ومن معها يقصون على المؤمنين ما لقي سبط الرسول من جيش يزيد، عادت بعد فراق وغياب جاوز السبعة اشهر حيث خرجت مع أخيها الحسين أواخر رجب وعادت بعد انتهاء شهر صفر وفرق كبير بين موكب خروجها المهيب من المدينة مع أخيها وأبنائها وأبنائها، وبين عودتها مكلومة مفجوعة متألمة، وهرعت للتو إلى مسجد جدها مناديه "يا جداه اني ناعية إليك أخي الحسين" (المقرم، د ت، ص76)، ويجدثنا التاريخ في كتاب الزينبيات ببرنامجه اليومي في المدينة، حيث كانت "تؤلب الناس على القيام بأخذ ثار الحسين، فكتب والي المدينة عمرو بن سعد الأشدق إلى يزيد يعلمه الخبر، فكتب إليه اليزيد أن فرق بينها وبين الناس، فأمرها الوالي بالخروج من المدينة" (العبدلي، د ت، ص17) وتقيم حيث تشاء فقالت "قد علم الله ما سار إلينا، قتل خيرنا، وانسقنا كما تساق الأنعام، وحملنا على الأقتاب، فوالله لا خرجنا، وإن أهرقت دماؤنا" (العبدلي، د ت، ص17)، لكن نساء بني هاشم أشفقنا عليها من غضب يزيد، فتلطفنا معها الخروج إلى بلد أكثر أمنا، فخرجت زينب من مدينه جدها الرسول، ولم تعد إليه قط، على أن خروجها كان عقب الثورة التي فجرها المعارضون في المدينة سنه 63 هجرية، حيث تمرد الأهالي على الحكم الأموي، وطرده الوالي وبايع عبد الله بن حنظله غسيل الملائكة، فبعث يزيد إلى المدينة جيشا ضخما سيطر فيه على المدينة، وأباحها ثلاثا، فقتل الناس وسيطر على المتاع والأموال، وعرفت الواقعة باسم واقعه الحرة" (ابن الاثير، ابوالحسن على، ص120)، وانقضى عمر السيد زينب متنقلة من بلد إلى آخر لا يطمئن بها على ارض مكان .

إن ملفوظات زينب في المدينة تنجز بعدا آخر بالنسبة لنظريه أفعال الكلام، وهذا البعد يكمن في النشاط الاجتماعي الذي تحمله الصياغات اللغوية المنتجة من طرف العقيلة في اطار عمليه التواصل، وهو بعد جد مهم اذا ما تحققت الشروط التكوينية والقياسية في تحقيق الأقوال الانجازية التي تقضي في آخر الأمر إلى تبدل فئات الأفراد وتغير مسار تواصلهم، وحتى لا نشط بعيدا عن تلك الجواب التكوينية والقياسية التي ابتدأناها في الخطاب انتقل المشهد إلى الجزء الأخير من النظرية بتحليل الأفعال الكلامية لصناعاتها الثلاث النطقية

والانجازية والتأثيرية، إن مقامها التلفظي فور إلى قبر جدها تنعي له موت أخيها وسبطه وهي تشد على عضادتي باب المسجد جدها لا تفر عن البكاء والنحيب، هي مقامات صوتيه تجدد من خلالها أحزانها، وتلهب نار الثورة في غيرها، وهو تمام الفعل الانجازي الذي تقصد من خلاله إلى الوصول إلى المتكلم/ المتلقي لإبلاغه أهدافها وغايتها قصد التأثير، وتغيير قناعاته، ولا شك تستعمل في ذلك أفعالا تلفظيه، "ناعيه، باكيه، جدي،....." تنتمي إلى "جملة سليمة نحويا، وذات دلالة معينة... تصدر عن متكلم معين، والتي تعني قولاً ذا معنى معين" (نخلة، 2002، ص 45)، أما فعل قوه التلفظ فيكمن في "صيغ الكلام المصدرة في هذا الخطاب كالوعد والسؤال والاستفهام" (نخلة، ص 42)، وبمعنى أدق هو ذلك بمعنى الإضائي الذي يقدمه فائض المعنى الأصلي على حد قول امبرتو ايكو، ليأتي بعد ذلك بلا شك فعل اثر التلفظ، وهو "المتسبب في نشوء آثار في العواطف والأفكار والإرشاد" (نخلة، 2002، ص 44)، بمعنى أن الكلمات التي ينتجها المتكلم في بيئة لغوية منتظمة محمله بمقاصد معينة في سياق محدد، تعمل على تبليغ رساله، وتحدث أثرا على المتلقين، وهو تمام ما نقراه في ردها على من أراد نفيها خارج المدينة فتقول "قد علم الله ما صار إلينا قتل خيرنا وأنسقنا كما تساق الأنعام وحملنا على الأقتاب، فوالله لا خرجناه وإن أهرقت دماءنا" (العبدلي، د ت، ص 17)، فالبعد الانجازي هنا في هذه الملحوظات والأفعال المستعملة في التلفظ وقوتها واثرها في السامع يدرك دونما عناء.

إن وظيفه المقام اللغوي هنا هو التأثير على الواقع والسماح لتلك الملفوظات إلى إنجاز فعل ذا تأثير كبير في قلب حركة الواقع وحركيته ففيه أفعال داله على الحكم **verdict ive** "فوالله لا خرجناه وإن أهرقت دماءنا" وفيها أفعال الممارسة "قتل خينا وسقنا كما تساق الأغنام وحملنا على الأقتاب" وفيها أفعال وعد كالتهديد والاستفهام، كما قد نجد أفعال السلوك، وهي ردود الأفعال الناتجة عن مقام التلفظ كأفعال الاعتذار الصادر من نساء بني هاشم، وهن يشفقن على عقيلتهن فيقلن "يا ابنه عمي قد صدقنا الله وعده وأورثنا الأرض ننبوء منها حيث نشاء، وسيجزى الله، الظالمين ارحلي إلى بلد امن" (العبدلي، د ت، ص 17)، كما أن الخطاب حوى أفعال العرض، وتلك العادات الكلامية المستعملة في إيضاح وجهات النظر والآراء عن طريق الحجج مثل الإثبات، التأكيد، النفي، الشرح، التوضيح وهو مقام لا يتسع لتتبع جميع نقاط النظرية داخل ثنايا خطاب عقيلة بني هاشم .

4. خاتمة

إن رحلة هذا الدرس اللساني المعاصر داخل صرح هذا الخطاب الزينبي هي بلا شك مغامرة لغوية غاية في التعقيد، ذلك أن الخطاب مرتبط بوضع تاريخي خرج من الأمة العربية الإسلامية، خطاب على المحلل اللساني فيه أن يحدد وضع المتكلمين في إنجاز نظريه أوستن، الفعل الكلامي، فيزيد بنيتها الاجتماعية واستفزازه تراث ال البيت، وقتل أئمتهم وسبي نساءهم كان محرضا هاما لإنتاج هذا الملفوظ الزينبي والذي سيقف الدرس التداولي منه موقف الحياد، وهو ما يجعل القصور في المنهج عيب إنساني، فالهدف من دراسة هذا غائبة، يتطلب الوصول إليها تحليلا أكثر دقة .

قائمة المصادر:

1. أبي الفضل احمد بن أبي طاهر طيفور ، ط 1 ، 2000 كتاب بلاغات النساء المكتبة العصرية، بيروت.
2. أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم ج 6، ط 2، دار المعارف بمصر
3. أبي محمد بن يزيد المبرد ، ط 3 ، 1997 ، تحقيق، الدكتور أحمد الدالي ، مؤسسة الرسالة .

قائمة المراجع:

1. أحمد واضح ، الخطاب التداولي في الموروث البلاغي، اشراف، لزعر مختار رسالة دكتوراه ، جامعة وهران 2011/2012
2. باقر شريف القرشي، 1994، حياة الإمام الحسين، دراسة وتحليل، ج 2، ط 4، مطبعة باقري
3. بغورة الزواوي ، ط 1 ، 2005. الفلسفة واللغة ، والنقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت.
4. جابر عصفور، 1997، افاق العصر ، الهيئة العامة المصرية.
5. دلاش الجيلالي ، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، تر محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون الجزائر
6. هبة الدين الحسيني الشهرستاني، نهضة الحسين، دار الكتاب العربي ، بيروت دط
7. هشام العلوي ، ط 1. 2006 لجسد والمعنى، قراءة في السيرة الروائية المغربية ، شركة دار النشر والتوزيع المدارس .
8. محمد جواد ط 1 ، 2005 مغنية، الحسين وبطلة كربلاء ، دار الكتاب الإسلامي.
9. محمود احمد نخلة ، 2002 افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

10. مسعود صحراوي ط1 2005 التداولية عند العلماء العرب ،دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، دار الطليعة ،بيروت .
11. نادية العشري ،1995ملامح في صورة المرأة من خلال بعض مصادر الأدب الاندلسي ،ة اعمال ندوة المرأة والكتابة، مكناس. المغرب.
12. نبيل الحسيني،2011،د سبايا آل محمد دار الكتب ،بغداد،د
13. عائشة عبد الرحمن، دط تراجم سيدات بيت النبوة دار الكتاب العربي.
14. عادل الثامري، التداولية ظهورها، وتطورها، موقع الكتروني
15. عبد الله العلايلي ،دط سمو المعنى في سمو الذات دار مكتبة التربية ،بيروت
16. عبد الرزاق المقرم ،دط مقتل الحسين، منشورات الشريف الرضي
17. العبدلي يحيى بن حسن، دت ،أخبار الزينبيات،دار الطباعة المنبرية الأزهر الشريف
18. علي الكوراني العاملي ط4. 1999جواهر التاريخ ،ج، دار الهدى،
19. خليفة بوجادي ط،1بيت الحكمة الجزائر2009في اللسانيات التداولية،
20. رضوان سوسن ناجي ،ال القاهرة 2004وعي بالكتابة في الخطاب النسائي المعاصر، المجلس الأعلى للثقافة .
21. أمينيكو ،المقاربة التداولية ،ت لرباط1986ر :سعيد علوش،مركز الإنماء القومي،ا.
22. جون اوستين، الدار البيضاء،1991نظرية أفعال الكلام العامة،تر:عبد القادر قنيني،افريقيا الشرق .
23. ميشال فوكو،المعرفة والسلطة،تر عبد العزيز العيادي ط1. 1994،، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ،بيروت .